﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠﴾ [الأنعام: 50]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بشريَّةُ النَّبيِّ ﷺ من دلائلِ نبوَّتِه

لما تحدّثتِ الآياتُ القرآنيةُ عن عنادِ المشركين مع النَّبيِّ ﷺ في طلبِهم منه لآياتٍ غريبةٍ، ومُقترحاتٍ غيرِ مقبولةٍ ليست من مهامِّه ﷺ ولا هي من وظائفِ الرِّسالة؛ جاءت هذه الآيةُ لتردَّ عليهم، فقال الله لنبيِّه ﷺ: قلْ لهؤلاء: أنا لا أدَّعي لكم أنَّ عندي خزائنَ الله أملكُها، وأتصرَّفُ فيها، ولم أدَّعِ أنِّي أعلمُ الغيبَ الذي استأثر الله بعلمِه، ولم أدَّعِ أنِّي مِنَ الملائكةِ، وإنَّما أنا بشرٌ شرَّفني الله بالنُّبوَّة، وما أتَّبعُ إلا ما يوحَى إليَّ فقط[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿خَزَآئِنُ﴾: (خزن) أصلٌ يدلُّ على صيانة الشَّيءِ، يقال: خزنتُ الدِّرهمَ والسِّرَّ[2]، والخِزانةُ، واحدةُ الخَزائِنِ: اسْمُ المَوْضِعِ الَّذي يُخْزَن فيهِ الشَّيْءُ[3]، ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾، وخزائنُ الله مقدوراتُه، وخزائنُ رزقِه، ورحمتِه[4].

2) ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾: الفاءُ والكافُ والرّاءُ يدلّ على تردُّد القلبِ في الشَّيءِ، وتفكَّرَ؛ إذا ردَّد قلبَه مُعتبِرًا[5]، والتَّفَكُّرُ: التَّأمُّلُ[6]، وهو

(1) حجازي، التفسير الواضح: 7/87.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خزن).
(3) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (خزن).
(4) الواحدي، البسيط: 8/152، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/163، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/430.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فكر).
(6) الجوهري، الصحاح: (فكر).

إعمالُ الخاطِرِ في الشَّيْءِ[1]، والتَّفكُّرُ: جولانُ تلك القوَّةِ بحسب نظرِ العقل، وذلك للإنسان دونَ الحيوان، والفكرُ: هو بحثُ الأمور طلبًا للوصولِ إلى حقيقتِها[2]، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، أي: أفلا تَعتبرون؟[3]

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يُخبرُ اللّه تعالى النَّبيَّ ﷺ أن يقولَ للنّاس: إنّي لا أدَّعي ما يُستبعدُ في العقولِ أن يكونَ لبشرٍ من مُلك خزائنِ اللّه ورزقِه لعبادِه، ولا أدَّعي علمَ الغيبِ، ولا أنِّي منَ الملائكة، أي: لم أدَّعِ إلهيةً ولا مَلَكيَّةً، حتَّى تستبعدوا دعوايَ، وتستنكروها، وإنَّما أدَّعي ما كان مثلُه لكثيرٍ منَ البشر، وهو النُّبوَّةُ، وإنَّما أنا تابعٌ متَّبِعٌ للوحي[4].

عِلْمُ الغيبِ مخصوصٌ باللهِ استثنارًا ويبلِّغُه نبيَّهُ وحيًا

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الفصلِ في الآية:

لم تُعطفْ هذه الجملةُ على ما قبْلَها؛ لأنَّها "استئنافٌ مبنيٌّ على ما جرتْ عليه السُّنَّةُ الإلهيةُ في شأنِ إرسالِ الرُّسلِ، مَسوقٌ لإظهار تبرئتِه ﷺ عمّا يدورُ عليه مُقترحاتُهم[5]، والغرضُ منه تأكيدُ حصْرِ وظيفةِ الرُّسلِ عليهم السلام بتجريدِهم منَ القُدراتِ المُخالفةِ لصفةِ البشريَّةِ.

تبرئةُ النَّبيِّ ﷺ من ادِّعاءِ ما يُستَبعدُ في العقول

دَلالةُ افتتاحِ الكلامِ بفعلِ القولِ:

افتُتِح الكلامُ بالأمرِ بالقولِ في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾؛ للاهتمامِ بإبلاغِه؛ ودليلُ الاهتمامِ بهذا القولِ أنَّ الرّسولَ ﷺ مأمورٌ بتبليغِ ما في القرآن كلِّه، وذلك بأن يقولَه لهم[6].

تلقينُ الحُجَّةِ للنَّبيِّ ﷺ دليلُ عنايةِ المولَى به

(1) ابن منظور، لسان العرب: (فكر).
(2) الراغب، المفردات: (فكر).
(3) الواحدي، البسيط: 8/154.
(4) الزمخشري، الكشاف: 2/25.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/136.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/221، 240.

فائدةُ (لام) التَّبليغِ في قولِه: ﴿لَكُمْ﴾:

المـواجـهـةُ بـالـخـطـابِ تقتضي تقويةً لفعلِ القَولِ

عبَّرَ بلام التَّبليغِ في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾؛ تقويةً لفعلِ القولِ؛ لأنَّه يواجهُ قومًا بالخطابِ.

بيانُ المُتشابهِ في ذكرِ لفظِ ﴿لَكُمْ﴾:

ذكْرُ (لكم) هنا لتقويةِ فعلِ القولِ

عبَّرَ بتوجيهِ الخطابِ ﴿لَكُمْ﴾ هنا دونَ موضعِ هودٍ، حيث وردَ مُجرّدًا عنها، وهو قولُه تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [هود: 31]، وهذه اللّامُ " لامُ التَّبليغِ، وهي مفيدةٌ تقويةَ فعلِ القولِ عندما لا تكونُ حاجةٌ لذكرِ المواجَهِ بالقول"[1]، فكأنَّه يسألُهم: هل بلغَكُم أنّي أدَّعي قُدرةً ما؟ وثمَّةَ توجيهٌ آخرُ مُفادُه أنَّه لم يُكَرَّر (لكم) في (هود) لتقدُّم (لكم) مرّاتٍ عديدةً، فاكتفيَ به، كقوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ [هود: 25]، وعقبُه ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ﴾ [هود: 27][2]، فلتَكَرُّر (لكم) في آيات سورة هود حذفَه لظهور المخاطَب.

بلاغةُ تكرارِ النَّفي:

الإحـالـةُ على اللـه في تقرير المـعـجـزاتِ، وتأكيدُ نفيها عن غـيرِهِ إلَّا بإذنهِ سبحانه

تكرَّرَ النَّفيُ في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ ذلك ليس من خصائصِ النَّبيِّ ﷺ، وليس له أن يأتيَ لهم بما اقترحوه من هذه الآياتِ المذكورةِ إلّا بإذن اللّه؛ لذلك أمرَه اللّه تعالى بنفي الإتيان بهذه الأشياء؛ لأنَّ القومَ طلبوا منه إظهارَ المُعجزاتِ، والمعنى: لا أدَّعي إلّا الرِّسالةَ، وأمّا ما طلبْتموه، فلا يمكنُ تحصيلُه إلا بقُدرةِ اللّه، والمرادُ: أنّي لا أدَّعي كَوني موصوفًا بالقُدرةِ اللّائقةِ بالإله، ولا بعلمِه؛ إظهارًا للعجزِ والضَّعفِ، ونفيًا لاستقلالِه بتحصيل هذه المعجزاتِ؛ وبمجموع ذلك حصلَ أنَّه لا يدَّعي الإلهيَّةَ[3]، والمعنى: أنّي لستُ إلهًا لتطلبوا منّي قسمةَ الرِّزقِ، ومعرفةَ الغيبِ[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/240 - 241.
(2) الكرماني، أسرار التكرار: ص: 109، وابن جماعة، كشف المعاني: ص: 161.
(3) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/538، والنيسابوري، غرائب القرآن: 3/81.
(4) الطيبي، فتوح الغيب: 6/94.

السِّرُّ في تخصيصِ المذكوراتِ بالنَّفي دونَ غيرِها:

نفيُ المذكوراتِ في الآيةِ ناسبَ ما قبلَها

خصَّ المذكوراتِ بالنَّفي لمناسبتِها ما تقدَّمَ منَ الآيات التي سألوها في السّورة كقولِه تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾ [الأنعام: 8]، وقولِه: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: 35][1].

توجيهُ نفْيِ القولِ دونَ نفيِ النِّسبةِ:

نفيُ القولِ أبلغُ من نفيِ النِّسبةِ وأقوى

في قولِه جلّ شأنُه: ﴿لَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾، و﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾ نفَى القولَ ردًّا لما طلبوه؛ فهو لم يَقرنْ رسالتَه بادِّعاء تلك الصِّفاتِ والقُدرات، فلم يقلْ: (ليست عندي خزائنُ اللّه)، (ولست ملكًا)، كما قال: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾، وهذا أقوى وأبلغُ من نفيِ القول؛ لأنَّهم توهَّموا أنَّ ذلك عنده، وللدَّلالةِ على أنَّ هذا القولَ لم يقترنْ بدعوَى الرّسالةِ؛ ردًّا لاقتراحِهم تلك الأمورَ[2].

علَّةُ نفيِ النّبيّ ﷺ معرفةَ الغيبِ، دونَ نفيِ القولِ بمعرفتِه:

أبلغُ في الدَّلالةِ؛ تحقيقًا لمقصدِ استئثارِ اللهِ بالمغيَّباتِ

نفَى معرفتَه بالغيب بقولِه: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ دونَ أن يقولَ: (ولا أقول إني أعلم الغيب)؛ لأنّه أرادَ نفيَ ذلك من أصلِه، لا نفيَ القولِ فقط كما في سابقِه ولاحقِه[3]؛ لأنَّ كونَه ليس عنده خزائنُ اللّه، وكونَه بصورةِ البشر معلومٌ للنّاس، فنفَى ادِّعاءَهما ولم ينفِهما من أصلِهما؛ لأنَّ انتفاءَ ذلك من أصله معلومٌ عندهم، ولمّا كان علمُ الغيب أمرًا قد يدَّعيه كثيرٌ منَ النّاس كالكُهّان؛ نفَى علمَ الغيب من أصلِه[4].

فائدةُ تكرارِ حرفِ النَّفي (لا):

في تَكرار الحرفِ دفْعٌ لتوهُّم إرادةِ نفيِ المجموعِ عطفًا بين المنفيَّات

تكرَّرَ حرفُ النَّفي ثلاثَ مرّات، لبيان أنَّ النَّفيَ يتعلَّقُ بكلِّ واحدةٍ من تلك المَنفيّات، دفعًا لتوهُّم أنَّ المقصودَ بالنَّفي مجموعُ الجُملِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/240.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/157، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/240.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 7/123.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/518 - 519.

الثَّلاثِ، فأُعيدَ مع كلِّ جملةٍ "على طريقة عطفِ المنفيّاتِ بعضِها على بعضٍ؛ لتأكيدِ استقلالِها بالنَّفي، ودفعاً لتوهُّمِ إرادةِ نفي المجموعِ؛ فإنَّ الغالبَ أن يُعادَ معها حرفُ النَّفي للتَّنصيصِ على أنَّ تلك المُتعاطفاتِ جميعَها مقصودةٌ بالنَّفي بآحادِها"[1].

براعةُ التَّرتيبِ في الجُملِ المنفيَّة:

التَّرقِّي منَ العامِّ إلى الخاصِّ فالأخصِّ منهجٌ للمُعتَبِرِ

في الآية ثلاثُ جُملٍ منفيَّةٍ، وجاء ترتيبُها على سبيل التَّرقّي، فنفَى أوّلًا ما يتعلَّقُ بالرّزق، وهو يتعلَّقُ برغبات النّاس أجمعين، ثمَّ نفَى ثانيًا ما يتعلَّقُ به، وتتشوَّفُ إليه النُّفوسُ الفاضلةُ من معرفةِ ما يجهلون وتَعرُّفِ ما يقعُ منَ الكوائن، ثمّ نفَى ثالثًا ما هو مختصٌّ بذاته، فنفَى صفةَ الملائكة، فترقَّى في النَّفي من عامٍّ إلى خاصٍّ إلى أخصَّ[2].

وجهُ الاستئنافِ في جملةِ: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾:

نفيُ معرفةِ الرَّسولِ ﷺ بالغيبِ لا ينفي عنهُ صفةَ التَّبليغِ عَنِ الله

موقعُ هذه الجملةِ استئنافٌ بيانيٌّ؛ لأنَّه لمّا نفَى ملكيّةَ الخزائنِ وعلمَ الغيب وكونَه ملكًا؛ كان ذلك مثيرًا للسُّؤال: فماذا تدَّعي بالرّسالة؟ لأنَّ الجهلةَ يتوهَّمون أنَّ معنى النُّبوَّةِ هو تلك الأشياءُ المنفيّةُ في قولِه: ﴿لَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾، فيُجابُ بقولِه: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾، أي: ليستِ الرِّسالةُ إلا التَّبليغَ عنِ الله تعالى[3].

بلاغةُ الحصْرِ والقصْرِ في الآيةِ:

لا ينطقُ رسولُ الله عنِ الهوى، ولا يدَّعي شيئًا من نفسِه

في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ حصرَ دعواه في اتِّباع الوحيِ لكونِه نبيًّا، والنُّبوَّةُ من كمالاتِ البشرِ، بعد أن تبرّأ عن دعوَى الأُلوهيّةِ والمَلَكيّةِ؛ ردًّا لاستبْعادِهم دعواه[4]، والغرضُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/241.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/519.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/242.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/163.

منَ القصرِ قلبُ اعتقادِهم أنَّ الرَّسولَ لا يكونُ رسولًا حتى يأتيَهم بالعجائبِ المسؤولَةِ[1]، وهذا تجريدٌ لنفسِه عنِ الابتداع؛ لأنَّه لا يدَّعي شيئًا منكرًا، ولا ما يُستبعدُ في العقول كمُلك خزائنِ اللّه وعلْمِ الغيبِ، وإنَّما ادَّعى كونَه رسولًا، كما كان غيرُه منَ الرُّسل[2].

فائدةُ تكرارِ فعلِ الأمر ﴿قُل﴾:

تكرَّرَ فعلُ القولِ في الآية: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾، وقولِه: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ﴾، تبكيتًا وتقريعًا لهم وتأكيدًا للأمرِ بالتَّبليغ[3]، وفيه زيادةٌ في التَّنبيهِ، ولتقويةِ الإيمانِ بأنَّه يتكلَّمُ عن ربِّه[4].

تقريعٌ للمُعرِضين، وتقويةٌ لإيمانِ النَّبيِّ الأمين

بلاغةُ الاستفهامِ في الآيةِ:

جاء الاستفهامُ في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ﴾ على غير حقيقتِه، والمرادُ منه النَّفيُ لغرض الإنكار، وتقديرُ الكلام: "أنَّهما لا يستويان"[5]، "والمرادُ إنكارُ استواءِ مَنْ لا يعلمُ ما ذُكرَ منَ الحقائق ومَن يعلمُها، وفيه منَ الإشعار بكمالِ ظهورِها، ومنَ التّنفير عنِ الضّلالِ، والتّرغيب في الاهتداء ما لا يَخْفى"[6].

تسويةُ العالمِ بالحقائقِ مع غيرِه مَظنَّةُ الإنكارِ

بَلاغةُ الاستعارةِ في ﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ﴾:

تظهرُ بلاغةُ الاستعارةِ في تشبيهِ مَن لا يَرى الحقَّ بالأعمى، وتشبيهِ المؤمن بالبصير؛ تمثيلًا لنور البصيرةِ، وظلام الضَّلالِ، فقال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ﴾ والمعنى: إنَّه لا يستوي المتفكّرُ النّاظرُ في الآيات والمُعرضُ المهملُ للنَّظر؛ فالأعمى والبصيرُ

سبيلُ الهدايةِ نورٌ ودرايةٌ، وخُطا الزَّيغِ ظَلامٌ وتيهٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/242 - 243.
(2) النسفي، مدارك التنزيل: 1/505، وابن جزي، التسهيل: 1/261 - 262.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/137، والقاسمي، محاسن التأويل: 4/365.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2509.
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/430.
(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/137، والقاسمي، محاسن التأويل: 4/365، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2509.

مثالان للمؤمن والكافرِ، على سبيل الاستعارة[1] التّصريحيَّة؛ حيث شُبِّهت حالةُ مَنْ لا يفقهُ الأدلَّةَ بحالة الأعمَى الذي لا يعرُف أين يقصدُ؟ ولا أين يضعُ قدمَه؟ وشُبِّهت حالةُ من يميِّزُ الحقائقَ بحالة القويِّ البصرِ، وهذا تمثيلٌ لحال المشركين ولحالِ المؤمنين[2]، فالكلامُ تشبيهُ الضَّلال بالعمَى، وإدراكِ الحقِّ بالبصرِ؛ لأنَّه يعيشُ في نور البصيرةِ، والأوَّلُ يعيشُ في ظلام الجهلِ والضَّلالِ[3].

بيانُ الحضِّ على التَّفكُّرِ في الفاصلةِ:

عـــرضًـــا وتـحـضـيـضًـا بـلـوازم التَّقريع والتَّوبيخِ

في قولِه جلَّ شأنه: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ جاءتِ الدَّعوةُ إلى التَّفكُّرِ "في عبارةِ العرضِ والتَّحضيضِ"[4]، دونَ فعل الأمر أو غيرِه، ليكونَ الطَّلبُ على وجه التَّأكيدِ والحثِّ على فعله، فهو عرضٌ وتحضيضٌ، معناه: الأمرُ؛ تحريضًا على التَّفكير، أي: ففكِّروا[5]، وهو تقريعٌ وتوبيخٌ داخلٌ تحت الأمرِ[6].

بلاغةُ حذفِ متعلّقِ التَّفكُّرِ:

مـن يـتـفـكَّـرْ في الأحـوالِ يُحسِنْ ضبطَ المآلِ

حُذِفَ متعلّق التَّفكُّرِ؛ لأنَّه متعلِّقٌ بمضمون الكلامِ السّابقِ، لا مطلقَ التَّفكرِ، والمرادُ أنَّه دعاهم وحثَّهم؛ لأن يَتفكَّروا في مضمون الكلامِ السّابقِ، وتقديرُ الكلام: هلّا تفكَّرتم بأنّي ما ادَّعيتُ ما لا يليقُ بالبشرِ، وأنّي أتَّبعُ ما يوحى إليَّ[7]، يعني: "أفلا تتفكرون في أحوالي وأحوالِكم، لتميِّزوا بين الحقِّ والباطلِ، ولتعلموا الضّالَّ والمُهتديَ؟!"[8].

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 8/368.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/243.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2509 - 2510.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/294، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/519.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/519، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2510.
(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/137.
(7) النسفي، مدارك التنزيل: 1/506، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/519، والصاوي، حاشية على تفسير الجلالين: 2/15.
(8) الطيبي، فتوح الغيب: 6/96.

نكتةُ تقديمِ العَمى في الذِّكْرِ على البَصَرِ:

قُدِّمَ العَمى في الذِّكْر على البصرِ؛ لأنَّ المشركين يدَّعون أنَّهم مع ضلالِهم وجهلِهم أعلى منْ أَتباعِ النّبيِّ ﷺ الذين آمنوا به؛ لكثرةِ أموالِهم وقلَّةِ أموالِ المؤمنين، فبيَّن الله ﷻ أنَّهم لا يمكنُ أن يُساووهم؛ فضلًا عن أن يعلوا عليهم؛ لأنَّ الأعمَى - ولو غنيًّا - لا يُساوي المُبصرَ؛ ولو فقيرًا[1].

إنَّ المشركين أَرْدَاهُمْ سوءُ ظنِّهم فادَّعَوا استعلاءَهم عنِ اتِّباعِ النّبيِّ عليه الصلاة والسّلام

إيثارُ لفظِ التَّفكيرِ على لفظِ الإيمانِ:

آثرَ الخطابُ الإتيانَ بالتَّفكيرِ في قولِه: (أفلا تتفكرون) دون أن يقول: (أفلا تؤمنون)؛ لأنَّه البابُ الموصلُ للإيمان، ولذلك كان عليهم أن يتفكَّروا في أسباب الفقرِ، والغنى، وأسبابِ الفضلِ، وأسبابِ العلوِّ حتى يصلوا إلى الهدى، ويتركوا الضَّلالَ، وذلك من خلال الاعتبارِ بالعظاتِ والأمثالِ التي تساق إليهم[2].

التَّفكُّرُ بوَّابةُ الإيمانِ، وسبيلُ تمثُّلِهِ

وجْهُ اصطفاءِ لفظِ ﴿خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾:

آثرَ التَّعبيرَ بلفظِ ﴿خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾؛ لأنَّه مُستعارٌ لتعلُّقِ قُدرةِ الله بالإنعامِ وإعطاءِ الخيراتِ النّافعةِ للنّاسِ في الدُّنيا؛ فشُبِّهتْ تلك التَّعلُّقاتُ الصُّلوحيَّةُ والتَّنجيزيَّةُ في حجبِها عن عيونِ النّاسِ بخزائنِ أهلِ اليسار والثَّروةِ التي تجمعُ الأموالَ والطَّعامَ، ونحوَ ذلك[3].

مُلْكُ اللهِ لا يَسَعُهُ عقلٌ، وأُعطياتُه لا يُحصيها عدٌّ، ولا يحدُّها حدٌّ

نكتةُ تقديمِ لفظةِ ﴿عِندِى﴾:

قُدِّمتْ لفظة ﴿عِندِى﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾؛ لمزيد العنايةِ والاهتمامِ في دفع ما يطلبُه المشركون ممّا ليس في قُدرته ﷻ.

في التَّقديمِ عنايةٌ بمدافعةِ طلباتِ المشركين

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2510.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2510.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/241.

سرُّ إفرادِ الغيبِ دونَ جمْعِه:

في صِيَغِ الإفراد نفيٌ لمطلق الغيب، ولادِّعاءِ النَّبيِّ ما لا يعلمُ

عبَّرَ بالغيب مُفرَدًا دونَ الجمعِ؛ لأنَّ التَّعبيرَ بالمفردِ يُشيرُ إلى نفيِ مطلَقِ الغيبِ؛ لأنَّ الغيبَ قسمان: غيبٌ مطلقٌ، وغيبٌ مقيَّدٌ، ورسولُ اللهِ ﷺ لا يُخبرُ عنِ الغيبِ المقيَّدِ إلا بإعلامِ اللهِ له، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الرَّسولَ ﷺ لا يدَّعي ما ليس مِن شأنِ البشرِ، فالغيبُ كلُّه للهِ.

دَلالةُ الإتيانِ بقولِه: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ﴾:

العملُ بغيرِ وحيٍ عمًى، والعملُ بوحيٍ بصيرةٌ

جاءت جملةُ ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ﴾؛ لتأكيدِ المعنى السّابقِ في قولِه: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾؛ لأنَّ العملَ بغيرِ الوحي يجري مجرَى عملِ الأعمى، والعملُ بمقتضَى الوحي يجري مجرَى عملِ البصيرِ.

سرُّ التَّعبيرِ بلفظِ: ﴿أَتَّبِعُ﴾:

يبلِّغُ رسولُ الله ﷺ ما يُوحَى إليه، لا ما يُملَى عليه

آثرَ القرآنُ التَّعبيرَ بالاتِّباع في قولِه: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾؛ لأنَّه يشيرُ في معناه اللُّغوي إلى الارتسام في القول والفعل، وأنَّه ﷺ لم يكُنْ ليحكمَ في حُكمٍ منَ الأحكامِ أو أمرٍ منَ الأمور من تلقاء نفسِه؛ لأنَّه لا ينطق عنِ الهوى، بل كلُّ ما يصدرُ منه ﷺ إن هو إلا وحيٌ يوحَى.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»